

الديبوية، ومدى اقتراب أو إبتعاد العشيرة عن سلطة الدولة، هذه العوامل على ما نعتقد كانت ولم تزل مسؤولة عن حالة التباين في سلطات الرؤساء الكُرد مما يجعل السلطة القضائية سلطة غير مستقرة لا يمكن ان تحدد بمعالم واضحة وفضلاً عما تقدم فان عدم توفر (قانون مدون) لدى القبيلة يجعل الاحكام متباينة على صعيد القبيلة الواحدة في تكرار نفس الجرم وعلى صعيد القبائل المختلفة، لكننا نعتقد ان اعدل الرؤساء العشائريين هم الأكثر اعتماداً على كبار القوم في العشيرة، أو ما يشبه بمجلس العشيرة فهؤلاء يمثلون (المحكمين) الذين يعتمدهم القاضي في البت واعطاء القرار في المحاكم المتقدمة.

ان ما تقدم من توضيح يمكن ان نلمسه في وصف نيكييتين لما يسميه بـ(المحكمة العليا) في القبيلة الكُردية.

فيذكر ان خيمة الزعيم فوق جميع الخيم وفيها تتم الاجتماعات العامة ويقصدها الغرباء ليجدوا المأوى والغذاء وهي المحكمة العليا، ومجلس النواب والشيوخ لمناقشة الاحداث الكبرى اليومية وفيها يستطيع كل فرد ان يواجه الزعيم عن كذب، والزعيم في خيمته يحادث الجميع ويمارحهم ويويخ الذين قد يحل عليهم غضبه (١١٨-٩).

وكذلك يذكر ان سلطة الزعيم مطلقة الا ان كبار القبيلة يشكلون بعض الرقابة عليه، ولاصواتهم وزن لا يمكن تجاهله (١١٩).

ان ما قدمه هنا باسبيل نيكييتين يتقاطع بعض الشيء مع ما يذكره في موقع آخر من كتابه، فهو يرى ان زعيم القبيلة هو اب لها، لا حدود لسلطانه يستطيع التصرف كما يشاء بملكية أي واحد من افرادها، بل وبإمكانه ان يضرب من يشاء ويقتل أي شخص يرى من الضروري قتله (١١٨).

الحقيقة، ان هذا الرأي الأخير لباسيل نيكييتين ربما يصدق على بعض كبار زعماء القبائل وليس كلهم، ونحن نعتقد ان التقدم (البطيء) الذي طرأ على حضارة القوم في القبيلة بسبب تقلص المسافات بين مضارب القبيلة والمدن وتطور وسائل الاتصال والمواصلات ودخول جهاز الراديو خفف بعض الشيء من الانقطاع الكلي للقبيلة عن العالم وبالتالي فان هذا الاقتراب ادى الى التأثير على (دكتاتورية) رئيس القبيلة زد على ذلك ان كثيراً من القبائل تختار الإستقرار والسكن وتفضيله على الارتحال والتنقل، وبذلك انتقلت من حالة البداوة الاقل إستقراراً والأكثر تقبلاً للزعامة الفردية المطلقة إلى حياة الزراعة الأكثر إستقراراً والاقبل نسبياً لتقبل الزعامة الفردية المطلقة. ان ظهور (مختار) القرية، وعلاقته بمدير الناحية و(الحكومة) لا بد وان يؤثر على سلطات رئيس العشيرة بشكل أو آخر، ولكن لا بد من الإشارة الى اننا نتحدث بلغة نسبية آخذين الفروق بين منطقة وأخرى، وعشيرة وأخرى بنظر الإعتبار.

ان باسيل نكيتين لاينسى الالتزام العسكري لرجل القبيلة تجاه زعيمه فعليه ان يحمل السلاح اذا ما طلب منه ذلك زعيم القبيلة وعليه ان يتوقف عن اعماله الأخرى مختاراً أو مجبراً (١٣٧).

اما مينورسكي فيرى ان الشعور بالعلاقات العائلية وخاصة العلاقة بـ(الآغا) أي رئيس العشيرة فهو شعور بالإعتزاز بالقرابة الى درجة بحيث اصبح جزءاً من كيانهم، وكذلك يعتقد مينورسكي ان في كثير من الاماكن ينظر الى الآغا كأنه هو الغازي المنتصر والرعية كأنها من جنس آخر (٣٤-٥).

ان هذه الفكرة الأخيرة التي يتحدث عنها مينورسكي هي صحيحة عندما ينشأ الصراع بين الرعية والآغا أو عندما يعيش الآغا بمعزل عن رعيته.

وقد ساعد على بروز هذه الظاهرة عندما اختار بعض زعماء القبائل أو رؤساء العشائر العيش في مراكز المدن وقد ظهر الجيل الثاني لهؤلاء الرؤساء يتمتعون بـ(حق الزعامة) ولكنهم غير متفاعلين تفاعلاً حقيقياً مع ابناء العشيرة (الرعية) مما يجعل العشيرة تنظر بعين الغرابة أو بعين "الغازي" المنتصر التي اشار اليها مينورسكي، لاسيما عندما يرغب الرئيس بزيارة أو تفقد الرعية، إذ لا يبدو كفرد من القبيلة قدوماً يبدو غريباً عنها.

ان احدى أسباب نزوح رؤساء العشائر الى المدن حسب إعتقادنا هو رغبة رئيس العشيرة التقرب من الدولة تقوية لمركزه، وكذلك رغبته في العيش الرغد (التمدن) بالمقارنة مع حياة الارتحال القبلي، ثم رغبته في تثقيف ابنائه وارسالهم الى المدارس تمهيداً لايصالهم الى مراكز ادارية أو عسكرية، وهذا ما لم يكن رؤساء العشائر يرغبون به لابناء العشيرة فقد عاشت كُردستان زمناً طويلاً الصراع بين الآغا ورجل الدين من جهة وبين الناس ممن يريدون المدرسة لابنائهم من جهة أخرى حتى ان العلوم المدرسية وصمت بـ(علوم الشيطان) لضمان استمرار العزلة القبلية عن العالم وبذلك ضمان لاستمرار سلطة زعيم القبيلة التي عليها ان لاترى غير زعيمها أي ان لاترى الدنيا الا من خلال عينه وحسب هواه ومصالحه وأن لايتعدى تفكيرها حدود سلطته وكذلك ليبقى (اشباه) رجال الدين (المناهل) الوحيدة للعلم والمعرفة المقترنة بالمصلحة طبعاً.

ان اول رئيس قبيلة شذ عن هذه القاعدة) وطالب بفتح المدارس لكل الاطفال الكُرد هو الشيخ عبد السلام البارزاني الذي اعرب عن رغبته للذهاب مع ويكرام الى بريطانيا والطلب من ملك بريطانيا ومن رئيس اساقفة كانتربري ان يفتحوا للاطفال الكُرد مدارساً يتعلمون فيها، والحقيقة لم يكن الشيخ عبد السلام في هذا النزوع الى تعميم التعليم في كُردستان رئيس عشيرة قدر ما كان زعيماً قومياً يفكر بمستقبل امته وقد اشرنا الى ذلك في موقع آخر

من هذا الكتاب.

اما توما بوا فهو يوضح بدوره طرق وصول الرئيس الى السلطة في القبيلة ويشير الى الوراثة أو الانتخاب عن طريق القبيلة أو كبار الشخصيات أو التعيين عن طريق الحكومات كما يذكر انها غالباً تكون بالقوة، ولكننا لسنا مع توما بوا في رأيه الأخير فليس (الغالب) ان تكون الزعامة القبلية بالقوة ولكن أحياناً يمكن ان يتولى احدهم زمام الامور بالقوة ويفرض سلطته ويسط نفوذه ولكن هذا الامر ليس بالحالة السائدة في تسمية رئيس القبيلة، بيد ان توما بوا يعود ليعود ليعتد الانتقال الوراثي للسلطة الى الابن الأكبر هو الشكل الطبيعي لانتقال السلطات الا اذا كان الوريث غير كفء أو ضعيف الشخصية مما يجعل هذا الوريث دون المستوى المطلوب لمثل هذا المنصب وفي مثل هذه الحالة تستدعى هيئة من كبار رجال القبيلة وبعد المداولة اذا اعتبر الوريث غير جدير فيوضع امامه زوج من الاحذية فيبادر هذا الى انتعال الحذاء ويترك المكان وفي ذلك اشارة على قبوله التنازل عن رئاسة القبيلة لمرشح آخر ولكن تترك له أراضيه وممتلكاته وكذلك يذكر توما بوا انه قد يصادف ان يكون الابن الأكبر غير راغب في تولي رئاسة القبيلة بعد ابيه (٤٠).

ولا ينسى توما ان يذكرنا بان هناك حالات مشهودة عن نساء قدن قبائلهن حتى في ساحات القتال عند موت ازواجهن، وقد ذكرنا ذلك بشواهد في فصل المرأة الكرديّة.

اما في حالة رفض التنازل فيشير توما بوا ان من السهل في كردستان اخفاء الراض مما يجعل هذا الرئيس الجديد في حالة إستعداد دائمة محاطاً بالحراس خوفاً من ان يغتاله الاخ الأكبر المخلوع أو احد اعوانه (٤١). الحقيقة نلاحظ ظاهرة تشبه التعميم أو ربما المبالغة في الامور التي ذكرها توما بوا هي حقائق ولكنها ليست سائدة، أي عندما يخلع أو لاتوضع الثقة في وريث للزعامة لايشترط ان يوضع زوج من الحذاء امام المخلوع لينتعله ربما حدث ذلك في بعض القبائل ولكن ليس كلها. فبعض وجهاء القبائل لهم القدرة على ابلاغ الوريث بعدم اهليته لقيادة القبيلة دون التقليد المذكور، وكذلك فان اخفاء الزعيم المخلوع هي ليست بالحالة التي كما يتصورها من يقرأ لتوما بوا انها مسألة نادرة ربما تشبه قصة تنصيب لويس الرابع عشر على عرش فرنسا، فهي قصص نادرة لاتمثل الشيعو المنتظر في مثل هذه الدراسات أو الكتب التي يفترض ان تسجل ما يشيع من عادات وتقاليده أكثر من تسجيلها لما ندر ظهوره ولكن يجب الاعتراف ان توما بوا كان أكثر المستشرقين تفصيلاً في واجبات زعيم القبيلة وهو يعتقد ان اعمال وسلطات رئيس القبيلة تضعف مع زيادة سلطة الدولة في المنطقة وانتشارها.

ان من واجبات رئيس القبيلة التي ذكرها توما بوا تأمين العدد المطلوب من الجنود للخدمة العسكرية عندما تكون الحكومة في حالة حرب وكذلك هو الذي يقدر مقدار الكمرك أو رسم

المرور وتقع عليه مسؤولية العدالة وحماية اعضاء قبيلته، الحماية والنجدة، وكذلك واجب ايواء واطعام الضيوف المارين ويبدو من تفصيل توما بوا ان رئيس القبيلة كان يعاني من احراج دعوة المكلفين الى العسكرية وحتى اذا اصبح جندياً فهو يريد ان يكون حراً ويكره التجنيد وتكرر حوادث التمرد والهروب من الجندية عند الكُرد (٤٢).

وقد دونَ توما بوا ما حملته ذكريات الكاتب الكُردى أرب شمو عندما كان راعياً قبل الحرب العالمية من أنواع الضرائب التي على زعيم القبيلة ان يستحصلها، والحقيقة فان الكُرد كانوا مرهقين بأنواع من الضرائب والاتاوات التي تزداد وتتضاعف وكل يد لها حصة، الى ان تصل الى الدولة.

ومن هذه الضرائب الخرج أو الرسوم المالية والضرائب على المواشي مثل ضريبة عن كل خروف وضريبة عن كل حيوان يملكه المواطن فضلاً عن اعمال السخرة أي تكليف القروي باعمال دون مقابل ومن الاتاوات ما يسمى (أغايَتي) أي حق الآغا وهي نسبة يقدمها المواطن الى رئيس العشيرة من القمح أو الشعير أو الغنم ثم هناك ضرائب على ما ينتج من الزبد (او دهن الطعام) والبيض وضرائب لتغطية تكاليف خدمة وحراسة رئيس العشيرة وضريبة زواج احد اقرباء رئيس العشيرة (٤٣).

اما المارون من الناس فتؤخذ منهم ضرائب على ما يحملون وما يملكون من مواد غذائية وصوف وحيوانات وهذه مسعرة ولها نسبة تستقطع وتذهب الى (الآغا) وكذلك فان رجال الدين والمتسولين ايضاً لا ينسون حقوقهم ومطالبهم من المواطن الكُردى الذي يجد نفسه في النهاية وقد نهفته أكثر من يد وتحت اسماء ومبررات مختلفة ويذكر لنا توما بوا الاسماء التي كانت تطلق على رؤساء القبائل فبعضهم كان يحمل لقب (بك) أو (خان) أو (آغا) والحقيقة فان (آغا) أكثر تداولاً في المجتمع الكُردى للتعبير عن رئيس العشيرة أو القبيلة.

اما ويگرام فقد التقى اثناء مكوته في كُردستان بعدد من رؤساء القبائل وقد اشرنا الى ذلك في الفصل الخاص بالشخصيات الكُردية. ويمكن ان نعثر على إنطباعات متباينة عند ويگرام عن رؤساء القبائل الكُرد، وربما كان إختلاف الشخصيات هو السبب في إختلاف الإنطباعات ففي الوقت الذي يرى ويگرام من الشيخ عبد السلام البارزاني شخصاً يستحق كل ثناء وتمجيد نجهه ينتقد (الاعوات) أي رؤساء العشائر في منطقة برواري لانهم يخرجون على القانون كما يصفهم؟ وهل كان الشيخ عبد السلام مطيعاً أو منفذاً للقانون؟ ونقصد قانون الدولة العثمانية بالطبع، ابدأ فقد كان الشيخ عبد السلام بدوره تائراً على القانون لا بل اعدم شنقاً بالقانون العثماني، فلماذا هذا التباين في المواقف؟ نعتقد ان معياراً آخر كان يؤثر في رسم إنطباعات ويگرام ازاء رؤساء العشائر وهو مدى تعاطف رئيس القبيلة المسلم مع

المسيحيين في المنطقة فقد كان الشيخ مؤمناً بالمساواة التامة بين الكردي المسلم والمسيحي (١٣١). واعتقد ان ويگرام بصفته مسيحياً ومبشراً محق في تأثره أو تحسسه وفقاً للمعيار الذي ذكرناه وعلى الرغم من ان هذا المعيار لا يعد معياراً محايداً أو موضوعياً في الإعتبارات السياسية وفي مقاييس الجغرافية البشرية للمنطقة، زد على ذلك ان ويگرام يذكر ان الشيخ كان يسره أن يعتبر الإنكليز أصدقاء له (١٢٩).

يحدثنا ويگرام عن العلاقة بين رئيس القبيلة متمتعاً بالسلطتين الدينية والدينية معاً فان هذه الطاعة تغدو طاعة عمياء وقضية لاتناقش ويعطينا ويگرام مثالاً على مقتل تتو آغا، وهو احد الاغوات ممن خرجوا عن طاعة الشيخ عبد السلام فقد ارسل له رسولاً يحذره من الخروج عن طاعته ولكن تتو آغا اجاب الرسول بصلافة واصرار على عدم رغبته في اطاعة الشيخ فما كان من الرسول الا ان اغمد خنجره في قلب الآغا المتمرد وخرج من غرفته والدم يقطر من الخنجر وهو يردد مع نفسه (كلمة الشيخ يجب ان لاتكسر) (١٣٥-٦).

ان ويگرام يشخص حالة من حالات الزعامة العشائرية في كردستان يسميها (الاغوات الثانويون) ويقصد بهم الاغوات ممن هم دون منزلة رؤساء القبائل الكبار وان التظلم عند الحكومة منهم، في إعتقاد ويگرام مضيعة للوقت لان هؤلاء استطاعوا ان يفهموا اللعبة ويحققوا مصالح متبادلة بينهم وبين ممثلي الحكومة تكون نتائجها حكماً فاسداً سيئاً لايتصور على حد تعبير ويگرام (٢٨٣).

قد تكون وجهة نظر ويگرام صائبة ولكن في المنطقة التي جابها، انه يقارن بين الشيخ عبد السلام البارزاني وبعض اغوات منطقة بادينان في منظوره الى مسألة العدالة والتواطؤ مع الحكومة أو الولاءات الكاذبة للحصول على مكاسب فهو يتحدث عن رشيد آغا برواري الذي ابتاع من السلطة حقوق جباية الضرائب من القرى المسيحية سنة بعد سنة، ويذكر ويگرام ان هذا الحق يمارسه عادة الموظفون المحليون (اما انه مخالف لصراحة القانون فهذا لا يهم قط). والحديث ما زال لويگرام - ثم يعقب ان رشيد آغا يدفع بوصفه (متعهداً) مبلغاً مقطوعاً للخزينة ويقوم بتحصيل ما يتيسر له من السكان ضمن حدود المنطقة المخصصة له وهو يدفع خمس ليرات عن كل قرية الى الخزينة ولعله - حسب إعتقاد ويگرام - يدفع ايضاً خمس ليرات أخرى بخشيشاً، ليضمن عدم قيام منافس له في الميدان ثم ليؤمن اعتصار حوالي مائتي ليرة من كل قرية مسكينة (٢٨٣-٤) هذا ما اراد ان يثبتته ويگرام في التمييز بين الرؤساء أو الزعماء الكرد الكبار وما دونهم في المنزلة ولكننا لا نتفق تماماً مع ويگرام في هذا، ذلك اننا نجد من كان في منزلة الرؤساء الكبار ممن امتلك السلطة الدينية والدينية في السليمانية مثلاً ولكنه اتفق مع متصرف المدينة وكانت مصالحه الشخصية وجمعه المال مركز

إهتمامه حتى بات وجوده في المدينة امراً لم يستطع السلطان عبد الحميد الدفاع عنه ازاء التيار الإصلاحى الذى قام فى تركيا آنذاك.

ومن هنا نقول انها ليست مسألة زعيم كبير وآخر صغير بقدر ما هي مسألة (إتجاه) وتباين فى إتجاهات الرؤساء الكُرد نحو الأهداف التى رسموها وارادوا تحقيقها فى الحياة.

ان مؤلف هذا الكتاب يؤمن بمعادلة مفاذاها ان الهدف المالى النفعى والهدف القومى الوطنى إتجاهان متقاطعان لا يمكن التوفيق بينهما فى الشخصية القيادية الا اذا كان الهدف المالى موظفاً لصالح الهدف القومى (السياسى) لآخر فلس منه. نحن لا نتحدث عن احزاب سياسية مستقرة فى بلاد ليبرالية يمكن لرئيس الحزب ان يكون صاحب شركات عملاقة انما نتحدث عن كثير من القيادات العشائرية الدينية الكُردية التى كانت تداعبها آمال قومية ولكنها فى نفس الوقت لم تستطع التخلص من المجال (المغناطيسى) النفعى المادى... ويشهد على هذا القرن العشرين بأسره.

لقد اوضحنا النزعة الإصلاحية الكامنة فى شخصية الشيخ عبد السلام البارزاني ورغبته فى ايجاد نهضة كردية حقيقية ولا نعتقد ان شخصية عشائرية دينية فى كُردستان حظيت باعجاب ويگرام قدر ما حظى به الشيخ عبد السلام ولعل ابرز الأسباب التى لا تبدو للقارىء واضحة لاول وهلة ان ويگرام لم يكتب عنها مباشرة ولكن القارىء يمكن ان يستنتج ذلك من خلال ما كتبه ويگرام عن شخصيات فى مصاف الشيخ عبد السلام وكانت مطالبة للحقوق القومية للكرد ولكنها كانت متجهة نحو التجارة وجمع المال مستغلة موقعها القبلى والجغرافى (الحدودى) مما جعل الهم القومى لدى مثل هذه الشخصيات همّاً ثانوياً قياساً إلى الهم المالى أو التجارى فانزل هذا الهم من شأنهم سياسياً وتاريخياً على الرغم من بصماتهم التى لن يلغىها التاريخ ولكن كان يمكن لكثير من زعماء أو رؤساء الكُرد ان يكونوا فى مواقع افضل تاريخياً لو تخلوا فى حينه عن سورة الجشع فى انفسهم ويمكن ان نعزز ما ذهبنا اليه من تحليل لعدد من الشخصيات العشائرية فى كُردستان بالاطلاع على مذكرات ويگرام وغيره.

ان ويگرام بعد أن زار بارزان إتجه إلى (نهري) أي إلى القرية التى إنبثقت منها واحدة من ابرز الثورات الكُردية على يد المناضل الشيخ عبيدالله النهري (الشمزىنى) وهذه المشيخة فى تقدير ويگرام لم تكن اقل سطوة من مشيخة بارزان.

يذكر ويگرام بشكل موجز ما كان يصبو اليه الشيخ عبيدالله الشمزىنى وهو إقامة دولة كردية مستقلة بين تركيا وإيران آنذاك.

ويعلق ويگرام على محاولة الشيخ عبيدالله الشمزىنى ان نجاح الشيخ عبيدالله لم يكن من

قبيل المستحيلات لو ان الظروف واثته، وويگرام يجعل من الشيخ مبارك آل الصباح وهو أمير حقيقي لدولة الكويت الذي تولى الحكم في ١٨٩٤ مثلاً على إمكانية تأسيس دولة كردية بزعامته أي بزعامه الشيخ عبيدالله.

ان ويگرام يضعنا امام إنطباعات تؤلم أي قومي كردي فقد رضي (صديق) الابن الثاني للشيخ بالسلطان الفعلي على القبيلة بعد ان نفى والده مع ابنه عبد القادر وبدأ صديق يجمع ثروة عظيمة من عملية تهريب التبوغ على نطاق واسع جداً وكانت قوافله تدخل إيران متحدياً موظفي انحصار التبغ ثم مارس تجارة الأسلحة والشراء من روسيا والبيع في إيران في مدينة أورميه.

ويعلق ويگرام على القائمقام التركي مع مفتش انحصار التبغ، ان الشيخ صديق اسكنهما في بيت جميل بناه من ارباح تجارته التي كان واجب وظيفتهما ايقاف تلك التجارة عند حدها الا ان هذين الحيوانين الاليفين كما يذكر ويگرام تم تدجينهما (١٥٢-١٥٣).

لقد ارسل هذا الشيخ إلى ويگرام طالباً رسالة توصية إلى بنك إنكليزي قائلاً ان لديه مبالغ من المال يرغب في ايداعها وقد زكى له بنكاً أو مصرفاً أو اثنين وكان الشيخ قد طلب فائدة تتراوح بين عشرة بالمئة وخمس عشرة ويشترط سحب الودائع عند الطلب وقد اعتقد ويگرام ان الطلب لن يؤدي إلى نتيجة ولكن سرعان ما فوجئ ويگرام ان البنك كان قد وافق، وكما يذكر، وجدت بضعة الآف من الباونات سبيلها إلى شارع لومبارد المالي بلندن!

وينتهي ويگرام إنطباعه عن رئيس العشيرة هذا قائلاً: حقاً ان أمير المهريين هذا كان في سعة من الرزق، زعيم عصابة تهريب كردي ذو رصيد مالي كبير في إنكلترا؟ انه ليبدو امراً صعب التصديق (١٥٣).

هكذا يبدو الشيخ صديق في منظور احد المستشرقين المبشرين واذا اخذنا بكل ما ذكره ويگرام مأخذ جد وصدق نقول ان هذا الشيخ كان بإمكانه ان يتخطى بجهوده النفع الذاتي ولكن على ما يبدو لم يكن على سكة ابيه في همومه وان كان ابنه السيد طه بدا أكثر إتصافاً بالقضية الكردية وطموحاتها.

ترى هل هناك صفحة مخفية من حياة الشيخ صديق في الجانب الذي ذكرناه؟ قد تنبئ البحوث المستقبلية عن ذلك ولكن على حد علمنا لم تكن إهتمامات الشيخ صديق مثل إهتمامات والده بل كانت إهتمامات تجارية، وكما ذكرنا آنفاً، ان الجمع بين الهم التجاري والهم القومي مسألة صعبة واذا ما اجتمعا فقد اجتمعا على زيف ورياء ولنا في ذلك ألف مثل لا على الصعيد الكردي حسب بل في حركات تحريرية عديدة.

ومن المسائل التي استرعت إنتباه ويگرام ان بعض رؤساء العشائر كانوا يحتفظون بعدد من اليهود ويسمى هؤلاء اليهود بالمدجنين؟ (٢٨٧).

يعطينا ويگرام مثلاً عن الصراعات على الزعامة التي لم تكن بعيدة عن مناطق تواجده إذ يذكر ان الخصام العائلي الذي نشب في السنوات الأخيرة قلص كثيراً من نفوذ الشيخ طه فقد عاد عمه (الشيخ عبد القادر) من استنبول إذ كان هذا الأخير قد نفي إلى استنبول كما ذكرنا بسبب ثورة ابيه الشيخ عبيدالله الشمزيني عام ١٨٨٨ وادعى بالمشيخة ورئاسة الاسرة وهي من حقه بموجب التسلسل الوراثي، فنشب قتال بين العم وابن اخيه وهو ما لم يكن ليلحق ضرراً بليغاً باي احد منهما لو بقي اتباعهما يحتربون فيما بينهم، الا ان البلايا كلها انصبت بطبيعة الحال على رؤوس المسيحيين التاعسين (هكذا يصفهم ويگرام) الذين كان كل طرف يدعيهم لنفسه وهكذا وجدوا انفسهم بين شقي الرحى.

واعتقل الشيخان ثم تم التوصل إلى إتفاق ورضي الشيخ عبد القادر بمعاش سنوي ضخم من املاك الاسرة على ان يتخذ من استنبول المدينة المألوفة لديه مسكناً ثابتاً مفضلاً اياها على منصب شيخ قبلي في كردستان (١٥٦).

يضعنا الميجر سون امام إنطباع عن الزعامات الكردية فقد رأى ان سمة التماسك بين زعماء القبيلة الكردية نادرة ولكنه يستثني من ذلك قبيلة الجاف فهي على حد قوله عرفت بإتفاق زعائمتها وتماسكهم ونعتقد ان هذا الذي قاله سون هو الذي ابقى قبيلة الجاف إلى يومنا هذا من اوسع القبائل الكردية بالرغم مما يشطرها من حدود (إيران والعراق) لكنها بقيت محافظة على ثقلها ووجودها وعندما تكون اعلى الزعامات في هذه القبيلة في العراق فانها لا تفقد سلطتها على النصف المتواجد في إيران من هذه القبيلة والعكس صحيح ايضاً وقد حصل هذا بشكل فعلي في تاريخ هذه القبيلة إذ انتقلت الزعامة أكثر من مرة بين العراق وإيران وبقي الولاء العام مستمراً وهو من وجهة نظرنا يعود إلى قوة ولاءات الزعامات المتفرعة في هذه القبيلة في المنطقتين الجغرافيتين فضلاً عن رسوخ التقاليد القبلية في حين نجد ان النخر اصاب إمارة بابان باسرها فدالت دولتهم بسبب عدم تماسك زعماء اسرة بابان نفسها وكثرة التنافس والإستعداد لتقبل المؤامرات الخارجية على زحزة الاسرة هذا مما ادى في الأخير إلى تقويض هذه الإمارة التي كان يمكن ان تتطور فتصبح نواة لكيان قومي اوسع وارسخ.

لقد اتبعت قبيلة الجاف سياسة الاحتفاظ والتواصل مع فروع القبيلة هذا ما يمكن ان نستشفه من ملاحظة كان سون قد دونها في مذكراته فقد لاحظ ان للجاف إجتماعهم السنوي الصيفي إذ يحضر زعماء الجاف ويقام حفل كبير لهم وقبائلهم كل سنة.

وهنا لا بد ايضاً من الاشارة إلى ملاحظة أخرى وردت في مذكرات سون، هي من وجهة

نظرنا ساعدت على دعم الزعامة في قبيلة الجاف إذ يذكر ان زعماء الجاف بنوا الخانات والاسواق وقامت بينهم وبين تجار السليمانية صلات واصبحت السليمانية سوقاً لمنتجات هذه القبيلة من جلود وصوف وتبوغ وزبدة (١٤١).

نرى ان هذا النمو الاقتصادي في قبيلة الجاف والذي أمسك بخيوطه زعماء الجاف انفسهم دعم من مكانتهم إذ لاشك ان للجانب المادي دوره في ترسيخ دعائم الزعامة (القبيلية غير السياسية) وقد كانت العلاقات بين زعماء الجاف وباشا السليمانية قائمة على الثقة والوفاء وجعلته يستمد جزءاً واضحاً من قوته من هذه القبيلة فضلاً عن العوامل الأخرى التي ذكرناها أي التماسك الداخلي بين زعماء الجاف جعلت هذه القبيلة نموذجاً للقبيلة القومية في كردستان. اما إدموندز فيضعنا امام صورة قلمية لرئيس العشيرة الكردية أو (الآغا) كما يسميه الكرد ان من المتطلبات المظهرية أو الشكلية للآغا اقتناء الجياد الثمينه وحياسة بندقية ومسددس وكثير من العتاد وثياب أنيقة فضلاً عن نفيس الطعام وكل هذا ما يتطلب مالاً.

والمال هو مشكلة الآغا فهو سر ديمومة مركزه وقد تأتيه الاموال من الاتوات التي يفرضها أو قد يكون مالكاً أو وارثاً لمساحات من الارض ليستغل فيها الفلاحون ويتحكم هو بالأجر والحصص وقد تسانده الدولة في تملكه الأراضي والاطيان الزراعية فيدين لها بالولاء... المهم ان ما من (آغا) حقيقي دون مال.

ويشبه إدموندز (الآغا) الكردي (بالبارون الاقطاعي) الاوربي الذي لا عمل له وانما يعيش على الاتوات والهدايا وهي تختلف باختلاف مجتمعات البلاد الكردية.

ويعتقد إدموندز ان النظام القبلي اخذ بالإنهيار في كردستان* مع ازدياد السيطرة الحكومية المباشرة وطبيعي ان إدموندز لايعني (انقراض) النظام القبلي فحتى عند انقراض كيان قبيلة ما وهذا الكيان يتمثل بوجود رئيس للقبيلة ورعية وسلاح فاننا نجد ان المشاعر القبلية الانتمايية ماثلة لدى الكثير من المتحضرين أو ابناء المدن وان العصبية (لأسم) القبيلة أو العشيرة واضح في اناس تمدنوا تماماً لا بل هم ابناء متمدنين. وتجد علائم الزهو ترتسم على وجوههم عندما يذكرون اسم العشيرة التي ينتمون اليها عند سرد الاسم واسم الاب واللقب غالباً يكون اسم العشيرة التي انحدر منها فلان من الناس أو اجداده.

ان الولاء من خلال هذا المثال الذي ذكرناه أكثر من مرة في هذا الكتاب للآغا كان واجباً على الفرد في القبيلة لا بل كان يمكن للفرد ان يعبر عن وجوده الآمن خلال انتمايه لقبيلته واول اسس الانتماء القبلي الولاء المطلق للزعيم أو لرئيس القبيلة (الآغا) ان هذا الولاء يمكن

* آدموندز يتحدث في عام ١٩١٩ من القرن العشرين.

ان نستشفه من بعض مشاهدات إدموندز أو مذكراته.

ان من الامثلة التي ترد في هذا المجال ان احد الاغوات عاقب رجلين من قبيلته فقطع يد الأول وخلع عين الثاني، وعندما سمع قائمقام المنطقة وهو ممثل الحكومة هذا الخبر استدعى هذين الشخصين ليحقق بما جرى، ولكن هذين الرجلين انكرا تماماً عند القائمقام ان يكون للآغا دخلاً بما حدث ولم يعترفا امامه.

ان الولاء بهذا الشكل وبهذه الدرجة في نظرنا مسألة تقترب من العبودية ولكن على ما يبدو كان لهذا الولاء مبرراته إذ ذكرنا انه شرط من شروط التعبير عن الوجود ضمن القبيلة حتى اذا كان رئيس القبيلة معتدياً وهذه مسألة عرفت في عالم الاقطاع (قتلى يدافعون عن قاتلهم).

يرى إدموندز ان لقب (آغا) تركي في اصله وهو اللقب الذي ذكرنا انه يدل على رئيس العشيرة عند الكُرد وهو يلحق بالاسم كلقب (بك) الذي هو تركي بدوره ويلقب به كل من كان ابوه أو جده باشا عثمانياً ولا يقتصر الامر على هؤلاء بل يتعداه إلى افراد الاسرة القبلية الحاكمة الكثيرين.

ان إدموندز يستدل على عدم كردية لقب (الآغا) انه لم يجد له أي ذكر في كتاب (الشرفنامه) فاللقب الشائع فيها هو (بك) اما لقب (خان) الإيراني فيعتقد إدموندز انه انتشر في كُردستان بعد فتح السلطان مراد الرابع بغداد عام ١٦٧٣ (٢٠٣).

الحقيقة لدينا بعض التحفظات على آراء إدموندز حول هذه المصطلحات فاذا اخذنا بصحتها لا بد ان نسأل ماذا كان يسمي الكُرد رؤساء قبائلهم أو عشائرتهم قبل وصول الترك إلى المنطقة وتاريخياً معروف ان الكُرد اسبق من الترك في المنطقة واقدم منهم وجوداً فهل اندثرت المفردات الخاصة بهذا المجال وحلت محلها مفردات تركية وإيرانية كما يسميها إدموندز. ان إدموندز لا يتطرق إلى هذا الموضوع ولم يسأل نفسه هذا السؤال هذا من جهة ومن جهة أخرى للكرد حق السؤال وبكل مشروعية من قال ان هذه الالقاب كلها غير كردية ولماذا هي موزعة بين الترك والإيرانيين. هناك وشائج لغوية بين الفرس والكُرد على الرغم من إستقلالية اللغة الكُردية عن الفارسية ولكن هناك العديد من المفردات المشتركة بين الكُردية وليس الفارسية حسب بل حتى الهندية والافغانية والبلوجية فلماذا كلمة خان مثلاً من حصة الإيرانيين وحدهم وليس من حصة الكُرد أيضاً على الرغم من اننا لانريد هنا ان نناقش إدموندز على كلمة (إيرانيين) وكيف يفهمها وحتى كلمة آغا المستشرية في اللغة الفارسية والمتداولة في اللغة الكُردية من قال انها بالضرورة تركية، هل هناك دراسة تتبعية تاريخية- لغوية تدل على ان كلمة آغا هي حكر على الترك دون غيرهم ولماذا لا يكون الترك قد اخذوها

(قرضة حسنة) من الشعب الكردي الاقدم وجوداً والمتاخم للترك ان لم نقل المستقطعة أراضييه من قبل الترك الزاحفين إلى المنطقة؟ لقد قام إدموندز بذكر الضرائب والاتاوات التي على الرعية ان تدفعها للأغا وسنذكر ذلك لاحقاً.

اما هاملتون فقد ذكر اهمية (الأغا) بالنسبة لهم أي البريطانيين الذين دخلوا كردستان إذ يذكر ان الضباط السياسيين في العراق ادركوا اهمية الاتصال الشخصي برجال القبائل وزعمائهم فراحوا يقضون الجزء الأكبر من اوقاتهم في جولات خارجية لايبالون بالاخطار التي تحف بهم وليس في رفقتهم الا عدد يسير من الحرس وكلهم من الجنود المتطوعين المحليين. والكرد كما يذكر هاملتون هنا يعجبون بمثل هؤلاء الاشخاص لشجاعتهم وعدم ترددهم في التجوال في هذه المناطق غير الآمنة (٧٤).

ان انحياز القبلي إلى رئيس القبيلة وتفضيله على الدولة في حسم مشاكله لفت إنتباه ماليبارد ايضاً فقد سجل ملاحظاته عن شدة تعلق القبلي الكردي برئيس القبيلة (٨٦).

لقد تحدث شמידت عن الدور القتالي أو العسكري لرئيس القبيلة الكردية فهو بإمكانه جمع رجال قبيلته وتسليحهم وزجهم في الحرب التي يريدونها سواء ضد الدولة أو ضد عشيرة أو أخرى أو مع الدولة ضد الآخرين فالقبيلة كما يراها شמידت قوة قتالية طبيعية تتناسب بتدريباتها ومعداتنا مع المنطقة الجبلية (٩٢).

الزواج والعائلة

هناك تعاريف عديدة لمصطلح "الزواج" وقد أخذنا التعريف الذي أورده بيركس وآخرون فالزواج من وجهة نظرهم اتحاد مقر إجتماعياً بين رجل أو رجال وامرأة أو نساء ليقوم الرجل بدور الزوج والمرأة بدور الزوجة ويتخذ الزواج طابعاً مشروعاً مستمداً من الإقرار الإجتماعي وتعهداً بأداء المستلزمات أو المطالب التي يفرضها المجتمع الذي تحدث فيه عملية الزواج (٥).

إن هذا التعريف جاء في الواقع ليشمل مصطلح الزواج بأشكاله المختلفة تاريخياً وجغرافياً، فقد مرت الشعوب بمراحل مختلفة من الحياة الإجتماعية اختلفت وتطورت خلالها مفاهيم الزواج وقد لعبت الأديان والمعتقدات دوراً كبيراً إلى جانب العادات والأعراف في تحديد مفهوم الزواج ومسؤولياته وحتى شكله العائلي وبلاشك فإن الزواج في المجتمع الكردي تحدد بالشريعة الإسلامية بعد دخول الكرد الإسلام والتي أجازت زواج الرجل بأربع نساء ولا نود التفصيل في الامتدادات الشرعية خشية الخروج عن صلب الموضوع ولكن لا بد من القول ان ما من زواج يكتسب شرعية إجتماعية إلا بعد حصوله على الشهود وهذه الشرعية الدنيوية الممثلة بالشاهدين هي من متطلبات الشرع الإسلامي. وكما ان عقد الزواج الشرعي (الديني) يختلف من ديانة إلى أخرى فان القوميات تختلف عن بعضها في طرق التعبير لا بل حتى في مفهوم الزواج من الناحية الإجتماعية ولذلك نجد لكل مجتمع خصوصياته الطقوسية وعاداته وتقاليده في الزواج.

ونعتقد ان كثيراً من العادات والتقاليد تمتد إلى عمق بعيد من حياة القوم لا بل ان بعض هذه التقاليد والعادات كانت في يوم ما شعائر دينية قبل استبدال القوم ديانتهم الجديدة بديانتهم القديمة سواء عن طريق الفتوحات أم عن طريق الدخول الطوعي في الدين أو عن طريق التطورات التاريخية البطيئة في المجتمعات.

ان عمليات التحول هذه كانت -على ما نعتقد- تبقى ما لديها من شعائر ومن أشكال تعبير عن الموقف الجمعي إزاء الزواج وربما بعضها الغي أو منع وبعضها أي بعض العادات والتقاليد كافتحت من اجل البقاء مثل الطبل والمزمار اللذين تحرمهما بعض الطوائف الدينية أو رجال الدين رغم شيوع إستخدامهما في الرقص الكردي تاريخياً ابتهاجاً بالعرس فنجد بعض الاسر الدينية تكتفي بالغناء أثناء الرقص تعبيراً عن فرحها بزواج ابنها وتحرم المزمار على انه (عمل شيطاني). واليوم (يناضل) كل من الطبل والمزمار لان يبقيها لا امام استذكار النزعات الدينية حسب بل امام النزعات التقدمية والحضارية! فلقد دخل (الاورك ورقصات الباند) من

باب عريض ولا يمكن التكهّن بمصيرهما مستقبلاً.

اننا إذ نورد هذا المثال وسواه من الأمثلة للتدليل على الطقوسية التي لازمت الأقوام في التعبير عن مواقف حياتها ومنها الزواج. فالى سنين قريبة كان من تقاليد الزواج (وربما بقي هذا التقليد في قلة قليلة من المدن والقرى الكرديّة) يؤخذ العريس إلى النهر أو النبع في المدينة بالرغم من وجود حمام في دار أبيه أو بالرغم من وجود حمام شعبي في المدينة، نقول يؤخذ إلى النهر أو النبع لكي يغتسل قبل الزواج وهناك أغاني خاصة تغنى في هذه المناسبة التي يحضرها أصدقاء العريس وغالباً كان يؤخذ العريس ممتطياً صهوة جواد إلى النهر ترى هل هذا الطقس في الاغتسال على ضفة نهر أو نبع من بقايا الديانات السالفة التي مرت بالأقوام الهندوأوربية؟ من يدري ربما المستقبل كشف عن ذلك.

التقاليد والعادات كثيرة ولكننا لانريد ان نذكرها هنا خشية الخروج عن هدف الكتاب وموضوعيته، لكننا أردنا فقط التأكيد على الخصوصية الإجتماعية المنجزة وعوامل اندثار بعضها.

ان مؤلف هذا الكتاب على يقين ان العدد الهائل من أنواع الدبكات الكرديّة التي تتسم كل واحدة منها بحركات مركبة وإيقاعات خاصة لم تتكون بالصدفة، بل هي تعابير طقوسية كردية لها معانيها في الأصل لكنها تحولت إلى (تراث) ونشاط استمعاي، والتراث حتى - للأسف- الكثير من أبناء الشعب الكردي أنفسهم ربما لم يشاهدوه بعد بسبب الذبح السياسي الذي عانت منه كردستان وبسبب التشظية الاماراتية التي عاشها المجتمع الكردي قبل التقسيم السياسي.

لقد حظي الزواج وتقاليدته في كردستان باهتمام المستشرقين والرحالة وهناك من كتب عنه بشكل عرضي ومن افاض في الكتابة عنه.

عند الحديث عن الزواج في كردستان لا بدّ من تناول موضوع الحب. ان الفلكلور الغنائي الكردي زاخر بموضوعات الحب لاسيما القصص والحكايات الكرديّة الشعبية التي تزخر بمواضيع الحب والعشق والهيّام.

يرى سون بأن الاتصال بين الجنسين في كردستان بسبب تمتع المرأة بالحرية يسفر عن زيجات كثيرات ناجمات عن الحب، ويمتدح سون هذه الخصلة الإجتماعية لدى الأكراد. ويبدو ان سون وعن طريق الصدفة قد استمع إلى حديث غزلي يجري بين شاب وشابة وسره حسب قوله جرأة الغزل بينهما، إذ يذكر ان هذه هي أروع ملامح الحياة الكرديّة ذلك ان الزيجات بين الأمم المحمدية تكون المرأة فيها بمعزل تام عن قضايا يجري ترتيبها من قبل أطراف ثالثة أما الكرد

فلساؤهم يتمتعن بالحرية على غرار نساء أي بلد أوروبي تقريباً فيما عدا إختلافهم إلى السوق (٣٠٢-٣).

والحقيقة نحن لانقر مبدأ التعميم في ملاحظة سون فهي ليست خصلة أو حقيقة عامة مطلقة لذ هناك إختلافات بين منطقة وأخرى في مسألة الزواج ونكاد لانرى إلا ما ندر زيجة تتم دون تدخل طرف ثالث أي أهل الزوجين ولكن في الوقت نفسه نقر ان الاختلاط بين الجنسين أكثر وضوحاً في المجتمع الكردي مقارنة بالمجتمعات الشرقية المجاورة له، وهذا الاختلاط في الأساس اختلاط بريء قام على الحشمة وحسن النية ويتجلى ذلك في الاحتفالات والمناسبات المختلفة وحتى في الحياة العامة، انه ليس حالة مطلقة ولكن بالمنظور النسبي فان الكردي يضع ثقة أعلى بالمرأة من جاره في المجتمعات المجاورة... والحقيقة فان هذه الملاحظات التي ذكرها العديد من المستشرقين والرحالة تعبر عن خصوصية المجتمع الكردي يمكن ان تتناسب تناسباً عكسياً مع زيادة الاقتراب من حدود كردستان الجغرافية إذ يلاحظ ومن خبرة المؤلف الشخصية اننا كلما توغلنا نحو العمق الجغرافي لكردستان اتضحت هذه الخصائص الكردية بشكل أوضح وإذا اتجهنا نحو الحدود العربية أو التركية أو الإيرانية بدت هذه الخصائص اقل ظهوراً وما يصدق على العادات والخصائص يصدق على الزي وشكل العمارة وسببه على ما نعتقد توافر فرص الإحتكاك الانثرواجتماعي ولذا يمكن ان نجد في مذكرات الرحالة أو مدونات المستشرقين ما يشير إلى الزواج المسبوق بعلاقات غرامية ولقاءات بين الحبيبين مثل تلك التي أشار إليها توما بوا أو باسيل نيكييتين الذي يذكر ان الزواج لا يتم إلا بعد حب متبادل أو تلك التي أشارت إليها هانسن عن العروس التي لم تلتق بزوجها إلا ليلة الزواج (٣٣)، وهي عكس ما ذهب اليه باسيل وتوما بوا ولكنها تبدو من الحالات النادرة.

يضعنا توما بوا (في نهايات العشرينيات من القرن العشرين) امام صورة رومانسية جميلة عذبة، إذ يذكر ان في الوسط الريفي، يتقابل الشباب عند النبع أو خلال أعمال الحقل وعند الرجل في الاحتفالات الموسمية إذ يرقصون بكل احتشام لانه لايجوز خلط الفضيلة مع التظاهر بالحشمة والفتيات الكرديات يعرفن ذلك جيداً. منهن اللواتي يغنين أغاني الحب الكثيرة أثناء نزولهن من أماكن الاصطياف وهن يغزلن وينقلن بسطتهن الملونة ويحلبن شياههن.

فهن يعبرن بأغانيهن عن مشاعر تتناثر في كل مكان ويجيش فيها القلب بالحب وينطلق اللسان بالغناء ولكنهن يغنين هذه المشاهد باستعارات وكنائيات ذات طابع محلي بارز وهن يشهرن بجاذبيتهن ولايمتنعن عن قول ذلك مراراً إذ يتباهين بخصلات شعرهن الشقراء

واعينهن السوداء التي تشبه عيون الغزلان والحملان ومشيتهن الرشيقة كمشبية الاوز والبط البري وحمل السهول (٥٤).

ان ما سطره توما بوا، لا يخرج عن إطار الخاطرة الإنطباعية ويضعنا في الوقت ذاته امام صورة تقترب من الواقع بيد ان عفوية الاختلاط بين الجنسين تضحل في المدن الكرديّة ولعل النظم السياسية المختلفة التي كانت تمثل شعوباً غير كردية شغلت المدن أكثر من اشغالها للريف هي التي جعلت أبناء المدن الكرديّة يستعدون بعض الشيء عن عاداتهم وفي بعض قيمهم عن أبناء الجبال والسهول في الريف الكردي.

هذا التساين بين الريف والمدينة لاحظته هي الذي عايش الريف الكردي في منطقة أربيل مثلما عايش مدينة أربيل نفسها إذ يذكر ان تقاليد الزواج في المدن تختلف عن مثيلاتها في الريف بشكل خاص (١٠٩).

وكذلك يذكر توما بوا في هذا المجال، ان اللقاء بين الفتى والفتاة في المدن وبخاصة عند الأغنياء لا يتم بسهولة إذ يخجل الشاب من إظهار رغبته علانية في تكوين بيت فإذا أقبل العمر المناسب ولم يظهر ميله نحو فتاة يختارها تكون معروفة لدى عائلته فان والدته في هذه الحالة تبدأ بالبحث عن زوجة لابنها فاذا اقتنعت الام أو إحدى القريبات بأنها وجدت المرشحة التي يرضون بها فانها لن تتوانى عن شرح الصفات المادية والمعنوية للمرشحة، فاذا لم يكن هناك اعتراض من جهة الشاب ووافق أهل الفتاة على المشروع فإن الام أو عمّة طالب الزواج أو أحد الأصدقاء الوجهاء يسعون إلى بيت الخطيبة بكتمان ويقدمون هدية لها.

فاذا قبلتها فذلك دليل على الموافقة وهذه هي الخطبة (٥٥)، الحقيقة ان هذا الأسلوب الذي يذكره توما بوا هو واحد من الأساليب فقد لا يشترط تقديم هدية أولية للمرشحة بل يمكن مفاتحتها سراً فاذا أبدت عدم الممانعة أو الرغبة يمكن عندئذ توجه ذوي الخطيب إلى أهلها، كما يمكن ان تجري الخطبة دون اخذ موافقة أولية من الفتاة ولكن على الأغلب يحرض الأباء على معرفة رأي بناتهم في مسألة زواجهن.

ان توما بوا يذكر ان رفض الفتاة للزواج من أحدهم يعد إهانة ولكن الوالد لا يستطيع بالتأكيد إجبار ابنته على زواج لا توافق عليه وفيما بعد يقوم الأب أو العم أو الأخ الأكبر بطلب الزواج رسمياً (٥٥).

اما باسيل نيكيتين (١٩١٥-١٩١٨) فيشير إلى عادات كردية طريفة في الخطوبة تكاد ان تكون اليوم في حكم العادات الزائلة الا ما ندر، فخطبة الفتاة وهي مازالت طفلة في القماط كانت من تقاليد الماضي وتم الخطبة بعد ان يعقد على رأسها بمنديل عليه قطع

النقود وفي كل عام يحمل الخطيب بمناسبة عيد الأضحى خروفاً إلى خطيبته وقطعة قماش (١٠٦).

ان هذا التقليد كان في أذربيجان شائعاً وهناك طريقة أخرى أيضاً في الخطوبة أشار اليها نيكيتين لاتقل طرفاة عن الأولى ولكنها معكوسة اي ان الفتاة هي التي تفصح عن رغبتها بأحد الشبان في عيد الخراف وهو اليوم الذي يتخلى الرعاة عن أغنامهم ويتقاضون أجورهم تبقى في هذا اليوم النعاج في حظائر خاصة وتطلق بينها الكباش لتحميمها ويأخذ القرويون بإطلاق الرصاص كأنهم يحتفلون بزفاف نعاجمهم وتقدم في هذا العيد المأكولات اللذيذة والحلوى واللحم المشوي وترفع الفتيات عن قبعاتهن المحارم الحربية ويربطن حول أعناق الخراف المحببة اليهن فيتقدم الشبان ويأخذونها تعبيراً عن محبتهم ورغبتهم في الزواج فيما يراقب الأهل الفتى الذي التقط محرمة ابنتهم وهم يعرفون ان الإتفاق كان قد تم في الصيف فاذا لم يمانع الأهل تعقد الخطوبة بين الشاب والشابة وبعد وقت قصير يحتفل بالزواج (٤١).

ومن التقاليد الشائعة لدى الكُرد مثلما هي لدى الأقوام الشرقية الأخرى ان ابن العم يرى انه أحق بالاقتران بابنة عمه وان هذا التقليد كثيراً ما كان سبباً من أسباب الاختصام بين أبناء العمومة أو بينهم وبين الزوج الغريب وربما بلغ الخصام حد الاقتتال، ونجد ان مثل هذه التقاليد على الرغم من استمرارها لكنها أصبحت اليوم اقل حدة وخطورة مما كانت عليه في السابق.

يذكر توما بوا بهذا الصدد ان احسن اختيار في الواقع يكون لابنة العم نظراً لان ابن العم له حق الأولوية حتى لو كان المهر الذي يقدمه اقل من الآخرين وهذا ما اشار اليه هي أيضاً إذ يذكر انه بموجب العرف القبلي لابن العم الأولوية في الزواج من ابنة عمه، ويذكر هي حادثة قتل شنيعة كان سببها (هذا الحق) (٦٥).

ويأتي ذكر المهر (الصداق) عند توما بوا الذي تتحدد قيمته حسب المناطق ويناقد مقدار المهر مسبقاً لتجنب المنازعات العائلية لانها غالباً ما تكون فرصة للمساومات وان المهر يختلف تبعاً للمناطق ولحالة الأهل المادية يذكر ان كرد ارمينيا شنو حملة ضد (غلاء) المهر والتي تجعل المساومات على العروس كما لو كانت بهيمة (٥٦).

يصف هي (١٩١٨-١٩٢٠) بدوره المهر وكأنه عملية شراء شيء باهض لاسيما عندما يضطر الأقرباء إلى جمع قدر كبير من المال (لشراء العروس) كناية عن الزواج (١٠٩).

اما توما بوا الذي يرى ان المهر أو المساومة عليه مسألة تصطدم بالعقلية الغربية ولكنها بالنسبة للمرأة الكُردية نفسها لها مدلول آخر فهن يرين في هذا الأسلوب تقييماً لمكانتهن ومنزلتهن الحقيقية (٥٦).

لقد شاهدت هانسن (١٩٥٦) ووصفت مراسيم زواج من بداية الخطوبة إلى ليلة الزفاف تقول ان العروس كان عمرها (٢٦) عاماً واخبرها الناس ان هذا العمر يعد عمراً متقدماً كثيراً في الزواج بالنسبة للفتيات الكرديات ويبدو ان العروس التي كانت هانسن تواكب مراحل عرسها، متزوجة سابقاً وان عرسها هذا هو العرس الثاني (٢٧) ومن الامثلة الطريفة التي اوردتها هانسن في مدوناتها ان إحدى الفتيات الكرديات كانت تبلغ من العمر (١٢) سنة عندما خطب يدها أحد الجيران وعندما قيل لها هل تريد ان تتزوجي ويصبح لديك جهاز عرس وحلي وتساءل هل تريد الزواج من فلان ابن فلان فوافقت البنت لانها رغبت ان تستبدل حياتها وتصبح امرأة متزوجة لها شخصيتها ولم تر الخطيب الا من تحت البرقع (البيجة) وهو لم يرها الا مرة واحدة ومن بعيد (٤٤).

وعودة الى توما بوا فقد ذكر ان كل الأكراد يتزوجون في سن مبكر والعزوبة لاتدوم في كردستان والمجتمع لم يدع مجالاً للفتيات العانسات فضلاً عن نظرتهم المريبة للعزاب. وهكذا يتزوج الكرد مبكرين فالصبيان لا يتجاوزون العشرين عاماً حتى يكونوا قد تزوجوا والعروسة ذات الاثني عشر ربيعاً ليست نادرة (٥١).

يقول هي يدفع للزوجة في كردستان صداق فالزعيم يدفع مبلغاً يصل الى (٥٠٠) دينار ليتزوج من امرأة رفيعة النسب ويعطي اباهها فضلاً عن ذلك مهراً ويخلع عليها لباساً سنياً غالباً، ان هي يؤكد ان هذا المهر هو (صفقة زيجة) ويتسلم هذا المال اقرب الناس الى المرأة كالأب أو الاخ أو العم (٦٥)، وهذا يعني ان احدهم يتسلم المال نيابة عن الفتاة ومن العيب تسليمه الى الفتاة الا اذا اراد ولي الامر ان يخالف ذلك وفي هذا مخالفة للشرع الاسلامي. الحقيقة هناك التباس على ما يبدو وقع فيه هي فالأب لا يعطي مهراً، بل المهر للزوجة ولكن يدفع الخطيب أو يهدي شيئاً من المال الى والد خطيبته (٦٤-٥). وبموجب الشريعة الاسلامية فالمهر حق للفتاة التي ستتزوج وليس لسواها.

اما باسيل نيكيستين فقد اشار الى ان مهر العروس عند بعض القبائل الكردية قد يبلغ أحياناً أرقاماً عالية. يذكر الرحالة عقد القران عند الكرد وهو عقد قران اسلامي لا يختلف عما هو متعارف عليه في المجتمعات الاسلامية، وقد لاحظت هانسن ان الزواج لدى الكرد يختلف عما هو عليه في الدول الغربية، فالزواج في الدانمارك كما تذكر هانسن (وهي دانيماركية) يتم في الكنيسة بينما الزواج لدى الكرد لا يتم في الجامع أو المسجد.

وقد لاحظ باسيل نيكيستين ان هناك بعض اشكال التعاون بين الاقرباء والعريس، فقد يضطر الاهل الى صرف نفقات باهضة في العرس وقد جرت العادة على ان يمد الاقارب يدهم بالمعونة فهذا يقدم خروفاً وذاك بعض الحبوب والاخر يقدم مبلغاً من المال (١٠٧).

ويذكر توما بوا طقوس الزواج، فمن مقتضيات التعبير عن ولاء العروس لوالديها لحظة مغادرتها بيت ابيها ان تذرف وربما تتصنع ذرف الدمع وتغني لها صديقاتها اغنيات العرس (لمواساتها) وتشترك الحاضرات جميعاً بترديد الأغنية.

والحقيقة ان أغاني العرس تغنى عندما تشرع صديقات العروس بارتداء العروس ملابس عريسها وتزيينها وتتعالى الصيحات والأغاني مقرونة بالموسيقى والرقص اما العريس يتظاهر بعدم السرعة للخروج بينما تتظاهر العروس بعدم رغبتها الترحل من فوق الحصان.

يذكر نيكييتين ان أصدقاء العريس يرافقون العروس من بيت اهلها الى منزل العريس ولكن اهل العروس يغلقون الباب في وجوههم فيضطروا اقرب أصدقاء العريس الى دفع جزية لصديقات العروس لكي يفتحن الباب وتخرج العروس من دار اهلها، وعندما يصل موكب العروس الى منزل العريس يهب الشباب كي يمنعوها من الدخول فيدفع صديق العريس مبلغاً من المال ويمر الموكب وتكون العروس ممتطية صهوة حصان ويتقدم موكبها عازفو المزامير والطبول وحسب التقاليد يغطي وجه العروس في هذه المرحلة بمنديل شفاف احمر ذلك لكي تكون طليعة ايامها العائلية حمراء (اي سعيدة). وتقتضي التقاليد ان تقبل العروس عتبة الدار قبل الدخول (٨-٩) ولكننا نعتقد ان هذه العادة التي كانت في بعض المناطق الكرديّة شائعة قد انقرضت.

اننا هنا إذ نعرض ما كتبه نيكييتين بهذا الصدد فاننا لا نحزم ان ما شاهده نيكييتين هو ما يمكن مشاهدته في كل ارجاء كردستان ومع ذلك يمكن القول ان كثيراً من الامور تتماثل في ذلك وان ظهر إختلاف أو تباين بين منطقة وأخرى الا ان هذا الإختلاف ليس جوهرياً.

يقف الجواد الذي تمتطيه العروس في ساحة دار العريس ولا تنزل عنه حتى يقدم لها والد العريس هدية وعندما تترجل العروس وتقف عند عتبة البيت تلقي احدى قريبات العريس قطعاً من الخبز أما العروس فتقوم بتحية الجميع وتلتقط هذه القطع، وهناك تقليد آخر هو ان تقبل العروس عتبة الدار التي تجتازها وتأخذ النسوة من اقارب العريس بيدها ويدرن بها حول الموقد المحفور في وسط البيت، ربما كانت هذه العادة من ترسبات الديانة الزرادشتية اي تدوير العروس حول موقد النار في وسط الدار ولكن هذه العادة لا وجود لها في بعض المناطق الكرديّة وربما وجدت أو مازالت تمارس الى يومنا هذا ولكنها على الاقل غير موجودة في منطقة كردستان العراقية حسب علمنا (١٠٩).

لقد اغفل باسيل نيكييتين أو ربما لم يشهد عادة وقوف العريس على سطح الدار وهي سطح غير مسيجة وقيامه بدفع قليل من التراب بقدمه من على السطح ليتساقط على رأس العروس اثناء اجتيازها عتبة الدار، ولكن توما بوا قد دون بعض ما يشبه هذه العادة في

مناطق مختلفة من كردستان إذ يذكر ان دخول العروس الى منزل المستقبل ترافقه بعض الطقوس الفولكلورية التي تتنوع باختلاف المناطق، فعلى العروس مثلاً قبل عبور العتبة ان تتخطى حطام جرة مليئة بقطع النقود والحلوى تكسر تحت قدميها.

وفي اذربيجان تقوم احدى قريبات الخطيب بالقاء بعض فطائر الخبز بين العتبة وسيقان العروس فهذه الأخيرة تجمع الخبز وتقبل العتبة.

اما عند (اهل الحق) عند تجاوز العتبة ترفع الخطيبة الشموع الموقدة في يديها يقف الخطيب على الشرفة يرميها بقطع النقود الصغيرة والحنطة والرز الملون.

اما عند اليزيديين فعند وصول العروس ترميها حماتها من الشرفة بالحلويات والزهور ثم تنزل وتعطي لزوجته ابناً جرة مملوءة بالحلويات وعلى العروس ان تكسرها على العتبة ويتسابق الحاضرون جميعاً الى الحلويات المنشورة، لانها تجلب السعادة وتتوغل العروس داخل المنزل الجديد عابرة حطام جرة ودم الحروف المذبوب تحت قدميها، اما في كرد داغ فتكسر ملعقة كبيرة من الخشب الى قطع صغيرة بين قدمي العروس قبل ان تدخل منزل الزوجية، فهذا يجلب السعادة للزوجين (٥٩-٦٠).

واما في توبزواة القريبة من كويسنجق فقد شاهدت هانسن، كما يذكر توما بوا، في اللحظة التي تريد فيها العروس تجاوز عتبة البيت يطير طائر (ديك) من اعلى السطح في حين يضرب العريس وهو في اعلى الشرفة زوجته القادمة على رأسها بعضاً طويلة ورفيعة يحملها بكلتا يديه وهذه الحركة الأخيرة تشاهد عند اكراد ارمينيا السوفيتية ايضاً (٦٠).

يذكر باسيل نيكيوتين ان العروس بعد دخولها دار زوجها تجلس في مكان اعد لها من قبل في زاوية المنزل، ويكون مغلقاً بقماش احمر وتحيط بها الفتيات من اقاربها واقارب زوجها وتلبث متكئة في وضعها هذا طيلة احتفالات العرس التي تستمر يومين أو ثلاثة ولا يحق لاحد في هذه الاثناء ان يراها سوى اقارب زوجها وحتى والد زوجها لا يمكن ان يراها قبل ان يقدم لها هدية (١٠٩).

ان توما بوا ايضاً يصف ساعة دخول العروس الى بيت الزوجية إذ يذكر بينما يأخذ الجميع قسماً من المسرات والافراح تستقر العروس على عرشها في ركن من الغرفة وهي ساكنة كالصنم وقد غطيت بطرحتها، وعندما يتسلى الجميع ويغنون كثيراً ويرقصون وبعد ان يتعب العرسان ينتهي الاحتفال ويترك الزوجان الجديان لبعضيهما ويدخلان غرفة الزوجية إذ يحرس الباب احد فتيان الشرف وتطلق رصاصة كتقليد من قبل الزوج نفسه أو من فتى الشرف تعلن انتهائهما كل شيء على ما يرام حينذاك يعود الجميع الى منازلهم وعلى فراش الزوجية توضع

قطعة مربعة من الشرشف أو ما يطلق عليه اسم (بياض الوجه) وهو البرهان على عذرية الزوجة (٦٠-١).

لقد قامت هانسن بتسجيل دقائق طقوس الزواج وتقاليده في المنطقة التي زارتها وقد تجولت في المنطقة بين السليمانية وطوزاوه في كردستان العراق واقامت عند بعض الاسر الكردية.

لقد وصفت هانس ما يسمى بجهاز العروس وكيف تقوم عائلة العروس باعداده وهو غالباً الاثاث والحاجات الأساسية التي تحتاجها الزوجة في بيتها فضلاً عن شراء الملابس والحلي لها ويكون الصرف على هذه الحاجات من المهر الذي استلمه والد العروس.

انها تصف صندوق العروس وهو الصندوق الكردي القروي التقليدي فتقول كان لصندوق العروس قوائم طويلة اما مقدمته فكانت مغطاة بقطع الزجاج التي ترسم عليها ورود وفواكه وصورة البراق المجنح والصورة مرسومة بالالوان الليمونية والازرق وبشكل طفولي وتعلق هانسن على هذه الرسوم إذ تقول لا نعتقد ان طفلاً أو بيكاسو نفسه قادر على ان يرسم افضل من هذا.

وتوضع ملابس العروس مع بعض الحلويات في هذا الصندوق الذي يرسل الى بيت العريس قبل الزواج بيوم واحد بواسطة امرأة عجوز، وقد لاحظت هانسن ان العروس لديها (١٦) بدلة اشترت من نقود المهر وتقول ان ملابس النساء هنا ليست محكومة بالموضة بل بالتقليد، اما العروس فكان من النادر ان ترى على ملامحها علامات السعادة ولكن هانسن تخبرنا من بعد ان العروس يجب ان لا تبدو سعيدة بل يجب ان تكون مفكرة في مستقبلها وما ينتظرها من حياة زوجية ومسؤولية وتضيف هانسن انها لاحظت العروس لا تأكل بشهية ولم تتحدث مع احد.

وتذكر هانسن ان امرأتين تمسكان بذراعي العروس وتساعدانها على الدخول الى الدار وقد عبرت عن إنطباعاتها إذ تقول، كان يخالطني الشعور نفسه وانا اسمع من الحضور صيحات تقول (ها قد وصلت العروس) واتذكر كيف كانت العروس في اوربا تتقدم نحو الكنيسة خطوة خطوة ان واحدة من المرأتين المرافقتين تعود غداً بينما الأخرى ستبقى أسبوعاً والأولى التي ستذهب غداً ستأخذ معها منديلاً ابيضاً ملوناً ببقع الدم دليل عذرية العروس والا فان اباه أو اخيها أو احد اقاربها ينتظر ان يقتلها بسكين معقوف (خنجر) إذ ان كل واحد من هؤلاء القوم يخفي واحداً منه في وسطه، والمرأة العجوز المرافقة عليها ان تنام امام باب غرفة العروس، وهنا كان قد جاء الحديث عن العصا التي القى بها العريس على رأس العروس فأحدث كدمات في رأسها (٣٢).

ولاتنسى هانسن ان تذكر ان العروس تجلب معها هدايا الى اقرباء العريس غالباً تكون البسة.

لقد اعجب مستر ريج بالدبكة الكرديّة وحفلة الرقص التي تقام عادة بمناسبة الزواج وقد ذكرنا ذلك. ويذكر ريج (١٨٢٠) ان ماراه كان امراً جديداً بالنسبة له لانه كما يقول لم يسبق له ان رأى النساء في الشرق مختلطات بالرجال بمثل تلك الحرية التي شاهدها دون اللجوء الى التحجب.

ويرسم ريج صورة متحركة لرقصة السيدات في السليمانية فيقول، تحرك صف السيدات هذا ببطء وتموج حول الساحة وهن في رقصهن يتقدمن حيناً خطوة نحو مركز دائرة الرقص ويتراجعن حيناً آخر ويهزّن قاماتهن ورؤسهن هزاً متزنّاً ظريفاً كل الظرف.

لقد اتت النغمات متتدة هادئة، اما السيدات فلم يقمن باية حركة نابية في رقصهن ولم يبالغن فيه، لقد انشرح صدري لهذا المنظر الذي دام نصف ساعة ثم انقطعت الموسيقى فانسحبت السيدات الى بيوتهن (٢٠٢).

وما دمنا بصدد موضوع الزواج لا بدّ من الاشارة الى نوع من الزواج التعسفي لاحظته ريج وهو لا يعبر عن حالة شائعة بقدر ما انه يعبر عن التعسف الاقطاعي أو الاستقراطي، إذ يؤكد ان بعض امراء الأكراد الاقوياء المتطرفين اذا احب فتاة غالباً ما يجبر ابويها على تزويجه منها إذ ان وساوسه الدينية تمنعه نوالها بطريقة أخرى واذا ما ملها طلقها وزوجها احد خدمه القرويين المساكين على حد تعبير ريج المعرضون الى هذا النوع من الاضطهاد وعلى سبيل المثال ذكر لنا ريج ان عثمان بك شقيق أمير بابان انه الأمير الوحيد في عائلة بابان الذي وقع بمثل هذه الجريمة (٢٠٤).

ريج يسميها (جريمة) ونعته انه محق في ذلك، على اننا لا ننسى ان في المجتمعات الشرقية المتاخمة لكردستان من الجرائم (الزواجية) اقسى بكثير مما شاهده ريج في كردستان فضلاً عن ان هذا الزواج موجود في القبائل العربية ايضاً. اي ان كردستان لاتنفرد بهذا الشكل من الزواج التعسفي الذي لايمت الى الطبيعة الكرديّة بصلّة قدر ما هو افراز من افرازات الحياة الاقطاعية.

اننا نجد من المناسب ان نعرض وصفاً تتبعياً لأصول الخطوبة والزواج في صقعين كرديين، الوصف الأول للميجر نوئيل ١٩١٩ في كردستان الشمالية الغربية والوصف الثاني لبارث ١٩٥٥ في كردستان الجنوبية الشرقية.

يذكر نوئيل ان العريس أو طالب الزواج حر في اختيار أو الاقتناع بمن يريد عروساً له،

وعندما تحصل القناعة عند احدهم فان المراسيم الاتية تكون موضع التنفيذ. تقوم امرأتان من عائلة الخطيب (الخطب) بزيارة عائلة الفتاة للوقوف على مدى ملاءمة الفتاة أو جدارتها لتكون زوجة لابنهم وقد تستغرق هذه الزيارة ٢٤-٤٨ ساعة ونحن نعتقد ان هذه الحالة التي يصفها نوثيل يمكن ان تكون بين قرية وأخرى وعلى اي حال فان الزيارة الاختبارية قائمة.

وعندما تحصل القناعة فان عائلة الفتاة تفتح بشكل رسمي وتعرض عليها اي على العائلة فكرة زواج ابنهم من ابنتهم، ولا يعطى الجواب بالموافقة أو الرفض الا بعد بضعة ايام لان عائلة الفتاة تقوم ببحث الموضوع مع اطراف عائلة الفتاة ويدعى كبار الاسرة أو العشيرة لمناقشة الموضوع فاذا تمت الموافقة فان الفتاة تبلغ بذلك ويبدو ان الفتاة لاتعارض هذا الاجتماع الاسري وغالباً تكون موافقة.

يقوم رجلان من عائلة العريس بالذهاب الى بيت العروس وهما يتسلمان الموافقة الشفهية على الزواج وعائلة العروس تقرر مبلغ المهر الذي يجب ان يعطى للعروس مثلاً محفظة تحوي على خمس ليرات ذهب.

ثم يبدأ تقدير (سعر) المهر من لا شيء وصولاً الى ١٠٠٠٠ ليرة ذهبية (باوند تركي) في بعض الأحيان، وعلى العريس ان لايرفض أو يساوم ففي ذلك اهانة لايمكن غفرانها.

نعتقد ان إنطباع نوثيل مبالغ فيه فقد تحدث بعض المحاولات لتخفيض مبلغ المهر وعادة يقول اهل العروس نتنازل عن كذا مبلغ من اجل فلان الذي قد يكون خال العروس وكذا من اجل الشيخ فلان وهكذا. وربما إنطباعات نوثيل جاءت من حالات زواج (ارستقراطية) ويرسل العريس المهر مع أكبر عدد ممكن من الرجال على جيادهم وباحتفالية عظيمة وعلى صوت المزمار والطبل والاطلاقات يصل الموكب الى بيت العروس.

وتقوم عائلة العروس باعداد مأدبة يحضرها رجال العشيرة الإعتياديون ومن دون دعوة ولايحضرها كبار القوم ولكن العريس لا يكون حاضراً ومن ذلك اليوم وما بعده فان العروس والعريس لا يلتقيان. وتدفع عائلة العريس مبلغاً غير كثير من المال الى بيت العروس كجزء من متطلبات مصاريف الزواج.

بعد المأدبة التي تقيمها عائلة العروس لمدة قد تصل الى شهرين فان حفلة أخرى تقام اسمها (فتح الطريق : رى فُكرن) وهي ان يذهب العريس مع بعض اقربائه واصدقائه الى بيت العروس وهو يحمل معه الهدايا من الملابس والمجوهرات... الخ. وبعد هذه الاحتفالية يكون من حق العريس زيارة بيت العروس ولكنه لايدخل الى غرف النساء.

وبعد اشهر من (فتح الطريق) فان الاحتفال بالعريس يبدأ وفي بيت العريس وتقام فيه

مأدية وهو اي الاحتفال ممكن ان تتراوح مدته بين يوم واحد وعشر ايام تبعاً للوضع المالي لعائلة العريس. وخلال هذه الفترة يكون بيت العروس في حالة حزن، ويذهب والد العريس أو اخوه لجلب العروس وتصاحب الموكب الموسيقي وهو موكب راقص.

ان الطقس أو المراسيم الحقيقية تكون في بيت العريس وفقاً للشريعة المحمدية اي يعقد القران ثانية في بيت العريس.

عندما يتزوج الرجل للمرة الثانية أو عندما تتزوج الارملة فليس من المسموح لهما حضور الاحتفال بالزواج.

الارملة A widow ترتدي الحداد لسنة وتزار من قبل صديقاتها وقرباتها والحقيقة فان لبس الحداد على وفق الشريعة الاسلامية محرم على الرغم من ان النسوة المترملات يرتدينه (٥٢)، والحقيقة فان لبس السواد في كردستان حداداً ليس بالامر الشائع فاللون الازرق هو رمز الحداد هذا من جهة ومن جهة أخرى ولاسيماً في القرى والقبائل لا علاقة تقريباً بين لون الزي ومراسيم الوفاة لا عند النساء ولا عند الرجال.

اما بارث (١٩٥٣)، فيذكر ان كل اسرة، عموماً تقوم على أساس الرابطة الزوجية وان هذه الرابطة هي المحور الأساسي الذي تنتظم به الاسرة.

ان الطريقة الشفهية في اختيار الزوجة سهلة تماماً كما يراها بارث في كردستان، فالرجل يقرر ان يتزوج من فتاة معينة، اي فتاة، فيختار ممثلاً موثقاً به والمفضل ان يكون قريباً له وكبيراً في السن، وهذا الممثل يزور والد الفتاة ويفاتحه في موضوع الزواج، وهناك نوع من الدبلوماسية المطلوبة من كلا الطرفين لتحديد قيمة المهر ويسمي بارث المهر -سعر العروس- وهذا المصطلح استخدم من قبل معظم المستشرقين الذين زاروا المجتمعات الشرقية "Brideprice" بالرغم من وجود مفردة إنكليزية تفي بمعنى "المهر" وهي (Dower).

ان للممثل دوره الكبير في حسم موضوع الزواج وفي بعض الحالات يرسل طالب الزواج أكثر من ممثل لاسيماً اذا كان الممثل لايعرف الوالد جيداً فيأخذ معه من يعرفه به.

والحقيقة اضافة الى ما ذكر بارث فان الشائع كلما زاد التباعد بين الاسرتين كانت هناك حاجة لزيادة عدد الاشخاص فقد نجد فداً يذهب لخطب يد الفتاة للشباب الذي يرغب الزواج منها وعادة يكون اعضاء هذا الوفد من كبار السن أو مما يتيسر في القرية أو المدينة من معارف لهم إعتبارهم وتأثيرهم.

يقول بارث، نظرياً بإمكانك ان تقترح الزواج من اي فتاة تشاء ولكن من الناحية العملية فهناك تفضيل قوي لابن العم وأحقيقته بأبنة عمه، ولابن العم الحق في ان يرفض زواج ابنة عمه

ان كان هو يرغب الزواج منها وان لهذا الرفض قيمته المعتبرة، ولأب الفتاة ان يعتذر من خاطبيها وليس غريباً ان تسمع منه امام الالحاح (اعتذر لان ابن اخي سوف يقتلني اذا زوجتك ابنتي).

ان معقولية أو الفوائد المعلقة على هذا النوع من الزواج يعود الى عدد من الأسباب منها ان والد الفتاة غالباً يعرف النواقص المحتملة في ابن اخيه مقدماً مما يقلل في المجازفة بتزويجها لشخص لايعرفه حق المعرفة وينجم عن ذلك حالة عدم انسجام، والمقصود هنا ما يذهب اليه بارث ان معرفة النواقص ربما تجعل والد الفتاة يعالج في ابن اخيه مع والد الفتى نواحي النقص سواء كانت مادية أو متعلقة بالعمل اي مدى نشاطه في صناعة لقمة العيش وحتى شخصيته فضلاً عن هذا السبب فان والد الفتاة تبقى لديه سلطة تأثيره على الفتى بعد الزواج لانه أساساً (عم)، اما بالنسبة لابن الاخ فانه غير مطالب بدفع مبلغ عال من المهر لابنة عمه وأحياناً لايدفع شيئاً.

زواج التبادل

يقصد بزواج التبادل إتفاق أسرتين على استبدال ابنتي العائلتين لكي تصبح كل فتاة من الفتاتين زوجة لاحد ابناء الاسرة الأخرى.

لقد عرف هذا النوع من الزواج في ارجاء عدة من العالم وقد اشار روبرت لوى الى انتشار وسعة هذا النوع من الزواج بين القبائل الاسترالية (١٧).

فاذا كان لرجل اخت أو بنت واراد التزوج وهو غير قادر على دفع مبلغ المهر أو حتى قادر على الدفع لكنه لايرغب دفع المبلغ فقد يتفق هذا الرجل مع رجل اخر له بنت أو اخت فيقدم كل منهما ابنته أو اخته للاخر ليتزوج (بها) ويدفع مبلغاً زهيداً كي يتخذ الزواج طابعاً شرعياً.

ويبدو ان هذا النوع من الزواج انتشر في العالم الاسلامي ولاسيماً في المجتمع العربي البدوي والريفي كما يشير الى ذلك المحاسبي (١٧٣) ويسميه العراقيون (كصة بكصة) تلفظ الكاف مثلما يلفظ حرف G في (Girl) و(الكصة) تعني الجبهة أو الناصية.

ان بارث اشار الى هذا النوع من الزواج والذي يسميه الكُرد (زُن بَؤن) اي امرأة مقابل امرأة أو الزواج المتبادل وهو يعرفه بايجاز شديد إذ يقول عنه (تبادل الاخوات) للرجلين وترتبط مصاريف الزواج مع الاحتفال بالزواج وكذلك جهاز العروس.

ان الزواج بالتبادل من وجهة نظر بارث المالية البحتة مسألة مفيدة، وهي تبدو امتداداً

للزواج من ابنة العم وفي القرى غير العشائرية فان هذا النوع من الزواج كثير الشيعوع وعندما لا تكون هناك قرابة بين الرجلين فان هذا النوع من الزواج يوثق العرى ويزيدها بين الاسرتين ويزيد من الاتحادات الإجتماعية داخل المجتمع ويكون الإخلاص بين النسبيين كبيراً بقدر الإخلاص بين الزوجين ولهذا فان المشاكل البيئية في احد البيتين قد تسبب مشاكل في البيت الاخر.

وفي حالة الزواج من غير الاقارب وعندما لا تكون هناك حالة تبادل في البنات فان المهر، ويسميه بارث مثل غيره من الرحالة والمستشرقين بـ(سعر العروس) يكون عالياً جداً فهو يتراوح بين ٣٠-١٠٠ باوند استرليني (هذا ما شاهده بارث في أوائل الخمسينات من القرن العشرين) وان هذه الاسعار والمهور في الحقيقة تدفع وهذا المبلغ هو في الواقع يقابل القيمة الاقتصادية للمرأة المتزوجة ولا اعتراض على ذلك، ان هذا (السعر) العالي هو الذي يوسع من مدى زواج ابنا العمومة والزواج بتبادل الاخوات.

وفي الجانب الاخر يكون من الصعب شرح إستعداد والد الفتاة للتنازل عن حقه في (سعر الزواج) في حالة زواج ابنته من ابن عمها فهو يعد اسرة مستقلة عن اسرة اخيه وابن اخيه.

ان اصول هذه القاعدة ربما تعزى الى النظام الابوي في العائلة الممتدة التي لا تعترف بتبادل الملكيات بين الاخوة، ان ما يريد ان يقوله بارث هنا ان الفتاة تعد احدى ممتلكات الاسرة التي امتدت اي انها من ممتلكات جدها والدها وعمها والكل لا يملكون شيئاً مادام النظام ابوياً، وابنة العم ما هي الا جزء من هذا النظام وجزء من ممتلكات الاسرة وليس للاب والعم ممتلكات يتبادلونها فكيف اذن تبادل البنت بمال نقدي أو عيني، هذا هو على ما نعتقد تفسير بارث للموضوع ونحن نرى فيه الكثير من المعقولية (غير المباشرة) من حيث هو تحليل لحالة إجتماعية لا بد ان تركز على جذر (٢٧-٨).

ان هذا النوع من الزواج محفوف بالمشاكل وبالكثير من المعاناة فقد لا تكون احدى الفتاتين أو كلتاهما راغبتين في الزواج (من هذا الزواج) ثم ان هذا النوع من الزواج يخضع الى قانون التعامل بالمثل فاذا اختلف الأول مع زوجته وطلقها فانه يرغم الرجل الثاني ان يطلق زوجته التي هي ابنة أو اخت الزوج الأول حتى اذا كان الزوجان الثانيان يعيشان بحب وسلام أو كانت الزوجة راغبة في ان تبقى مع زوجها واذا تخاصم احدهما مع زوجته فتركت البيت الى بيت ابيها أو اخيها فعلى الأخرى ان تعود بدورها الى اهلها وتترك زوجها، واذا تمرد احدهما عن تطليق زوجته بسبب تطليق الاخر لزوجته فعلى المتمسك بزوجته ان يزوج الآخر اي ان يدفع تكاليف زواجه الثاني.

ان هذا الزواج يجري امام رجل الدين وهو غالباً يعرف يقيناً انه زواج تبادل فيعقد الزيجة